
شرح حديث «حبّ عليّ حسنة لا تضرّ معها سيئة»
مستلّة من الكتاب المخطوط «الأربعين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام»
العلامة حيدرقلی سردار كابلی (١٢٩٣-١٣٧٢ هـ.ق.)

تحقيق وتقديم: د. عبدالحسين طالعی
جامعة قم

الملخص: هذا المقال جزء من كتاب مخطوط مفصل في اربعة مجلدات «الأربعين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام» لمؤلفه العلامة حيدرقلی سردار الكابلی (١٢٩٣-١٣٧٢ هـ.ق) ولم يتمّ نشره حتى الآن. له مقدّمة تتضمّن ترجمة سردار الكابلی والتعريف بكتاب «الأربعين» وفهرسه الذي جاء في ابتداء الكتاب. ثم جاء نصّ الرواية المتعلّقة بمحبّة أمير المؤمنين عليه السلام وذنوب محبّيه، ضرورة اهتمام محبّيه الى الاعمال وفعالهم، درجات هذه المحبّة وموضوعات اخرى.

الكلمات المفتاحية: سردار الكابلی، حيدرقلی - ترجمة حياته؛ الأربعين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام (الكتاب)؛ التعريف؛ محبّة أمير المؤمنين عليه السلام؛ درجات المحبّة؛ الاخلاق الشيعيّة.

المقدمة

«الأربعين في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)» يعدّ من الكتب النفيسة المخطوطة، الذي لم يطبع بعد، والذي صنّفه العالم الفذّ الجليل، آية الله الشيخ حيدرقلی الشهير بسردار كابلي.

بقيت النسخة المخطوطة التي كتبت بيد المؤلّف في بعض المكتبات، ومنها مصوّرة في المكتبة المختصّة بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في المشهد الرضويّ، ونستلّ منه قسماً للتحقيق والنشر كما سيأتي التفصيل في ما يلي.

ترجمة المؤلّف

كان حيدرقلی قزلباش من بيت عسكريّ كما كان والده نورمحمدخان من الرجال العسكريّين الأفغانيتين، ولكن لم يُقبل حيدرقلی إلى المناصب العسكريّة، بل أقبل إلى العلم وأهله، وإتّما أورث لقب "سردار كابلي" من هذه العائلة، فحسب.

من ثمّ هاجر إلى النجف والكاظميّة لتعلّم العلوم الدينيّة، ثمّ عكف إلى كرمنشاه في غرب إيران وبقي هناك إلى ارتحاله.

ولد حيدرقلی في ١٨ محرم ١٢٩٣ الهجريّة، في كابل، ثمّ ذهب أوان الطفوليّة إلى لاهور، الذي نُفي والده إلى هناك. بدأ الدراسة فيها بتعلّم اللغة الإنجليزيّة و علم الرياضيات عند سلامت على هندي، كما تعلّم اللغة العربيّة والفقه والأصول و الكلام عند الشيخ على أصغر التبريزي، ثم هاجر إلى العراق حينما مضى من عمره إحدى عشرة سنة، وأكمل العلوم هناك سيّما في النجف والكاظميّة، الذي تعلّم عند المحدث الميرزا حسين النوري والعلامة السيد حسن الصدر، ثمّ عكف كرمنشاه مع والده، وأكمل اللغة العربيّة عند الشيخ عبد الرحمن المكي الشافعي فيها، وتزوج مع بنت آقا محمد صادق نوري آل آقا من أحفاد الوحيد البهبهاني، وتوفي والده في سنة ١٣٢٤ الهجرية^١.

١. يُعدّ كتاب «مجمع الشتات» من تأليفات العلامة المولى علي الخياباني التبريزي، وهو كتاب على

كان للسردار علاقات علمية مع كل من: السيد عبدالحسين شرف الدين والسيد محسن الأمين والشيخ آقابزرگ الطهراني والأستاذ عبد الحميد بديع الزمانى الكردستانى الشافعي وغيرهم من العلماء.

و كان يقرأ و يكتب بلغات الإنجليزىة و الأردوية و الهندىة و الفرنسىة و اللاتين و السنسكريت، كما كتب بكل فصاحة في اللغتين الفارسيّة و العربيّة. ترجم إنجيل برنابا من العربيّة إلى الفارسيّة و استفاد من الترجمة الإنجليزىة. أجازوه بالرواية كلّ من السيد حسن الصدر والميرزا محمد على الجهاردهى الرشتي والسيد عباس اللاري و

نمط الكشكول، ولم يطبع بعد، كما يوجد نسخته المخطوطة في مكتبة السيد المرعشي بقم برقم ٤٤٨٤.

أورد الخياباني مطالب حول ترجمة العلامة سردار كابل في هذا الكتاب ص ٥ إلى ١٠، منها: الترجمة الذاتية لسماحته، ومنها تقرّظ للسيد محسن الأمين على كتابه «غاية التعديل»، ومنها نقل قسم من هذا الكتاب، الذي أورده الشيخ عبّاس القمي في كتابه «هدية الأحاب».

كتب العلامة الخياباني في كتابه المخطوط (مجمع الشتات) ما تعريبه:

رجعت من السفر الثاني للحج إلى كرمانشاه في سنة ١٣٥٨ الهجرية وتشرفت بخدمته، كما كنت رأيته بمشهد الرضوي في سنة ١٣٥٣ الهجرية، وهو عبقرى من الأعظم وفرد في نوعه في بعض العلوم، لهذا طلبت منه أن يكتب ترجمته، ثم إن سماحته كتب لى هذا الموجز بتأكيد أكيد متي بالعربية:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمرني المولى الأجل الفاضل العالم العامل المولى علي الخياباني التبريزي (دام علاه) أن أكتب له مختصراً من ترجمتي. فأقول: ولدت يوم الثلاثاء لساعتين مضياً من نهاره الثامن عشر من المحرم سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف هجرية في مدينة كابل. ثم بعد احتلال الإنجليز في أفغانستان بعد أن ولّوا عليها الأمير عبد الرحمن خان خرجنا بعائلتنا من أفغانستان و دخلنا الهند وسكنّا بلدة لاهور سنة ١٢٩٧ و كنا فيها نحو سبع سنين، وهناك تعلّمت القرآن و الفارسي والانجليزي والأردو نحو أربع سنين. ثم خرجنا إلى العراق العربي، دخلت البلدة الكاظمية في شعبان سنة ١٣٠٤ و جاورنا فيها واشتغلت فيها بالعلوم العربية وأنا ابن اثنتى عشرة سنة. ثم خرجنا منها إلى إيران في جمادى الأولى سنة ١٣١٠ وسكنّا كرمانشاه. وأما ما خرج من المؤلفات، فجملة منها مطبوعة في أول ترجمة برنابا، ومنها ترجمة المراجعات للسيد العلامة السيد شرف الدين الموسوى العاملى (دامت بركاته) سمّيتها: المناظرات في ترجمة المراجعات، ومنها رسالة فارسيّة في معرفة التواريخ المشهورة واستخراج بعضها من بعض. كتبها مستعجلاً يوم السبت ثالث صفر سنة ١٣٥٨ هجرية. وأنا العبد حيدر قلي بن نور محمّد خان الكابلي (عفي عنهما).»

الشيخ عباس القمي والسيد يحيى الخراساني والسيد محسن الأمين والشيخ آقابزرگ الطهراني وغيرهم من العلماء.

علّق رحمه الله على كثير من الكتب وكتب ثلاثين كتاباً، طبع منها: ترجمة إنجيل برنابا، مناظرات (وهو أقدم ترجمة فارسيّة لكتاب المراجعات للسيد شرف الدين)، تحفة الأجلّة في معرفة القبلة، قبله شناسى، غاية التعديل في معرفة الأوزان والمكايل. توفي رحمه الله في يوم ٤ من جمادى الأولى عام ١٣٧٢ الهجرية. وكتب الأستاذ غلامرضا كيوان سميعي من تلامذته كتاباً جامعاً عن ترجمته باللغة الفارسية سمّاها "زندگانی سردار کابلی"، أصدرها مكتبة الزوّار بطهران سنة ١٣٦٣ الشمسية.

كتاب الأربعين

أما كتاب الأربعين من أنفس كتب السردار في أربعة مجلّد ضخمة، الذي سلم - والله الحمد - من سوانح الدّهر، وتوجد مصوّرته في المكتبة المختصّة بالإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في المشهد الرضوي. ذكر الأستاذ كيوان سميعي علّة تصنيفه بتفصيل تامّ، والخلاصة أنّ السردار كان مشغولاً بتعلّم علم الكيمياء عند الشيخ عبدالرحمن المكي، وبعد قضايا عديدة شعر بالندامة من هذا العمل، مع أنّه اشتغل ذهنه بهذا العلم، ثمّ زار الإمام الرضا عليه السلام، ووجد أصل الكيمياء بعد التوسّل إليه عليه السلام في حرمة الشريف، ثمّ نذر بتأليف هذا الكتاب، الذي اشتغل إحدي عشرة سنة بتأليفه بلافتور.

تمّ تأليف الكتاب في ١٣٠٠ صفحة بقطع كبير، وضمّ رسالة في المهدي الموعود عليه السلام به في ٤٩ ص. ذكر المؤلّف التواريخ المتعلّقة بالكتاب بدقّة تامّة، هكذا:

١. وكتب العلامة الطهراني في موسوعته الذريعة:

«الأربعون حديثاً في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام من طرق العامة مع شرح الفاظها، لغويّاً وأدبيّاً وذكر مناسباتها وشواهداها من سائر الأخبار من طرق العامة والخاصّة، للعلامة المعاصر حيدرقلي خان المعروف بسردار كابلّي نزيل كرمانشاه ابن نائب السلطنة نور محمد خان، خرج منه إلى سنة ١٣٤٠ شرح عشرين حديثاً في مجلدين، كلّ واحد منهما يقرب من عشرة آلاف بيت، وخرج قليل من الجزء الثالث، وفقه الله لاتمامه». (الذريعة ج ١ ص ٤١٥)

أ) الرسالة المهدوية: يوم الخميس ١٢ ربيع الاول ١٣٣٣ إلى يوم الجمعة ١٠ جمادى الاولى ١٣٣٣.

ب) المجلد الأوّل من الأربعين: يوم الأحد ١٢ جمادى الاولى ١٣٣٣ إلى يوم السبت ١٧ ذى القعدة ١٣٣٤.

ج) المجلد الثاني: يوم السبت ١٧ ذى القعدة ١٣٣٤ إلى يوم الأربعاء ١٨ ذى الحجة (عيد الغدير) ١٣٣٦.

د) المجلد الثالث: يوم الخميس ١٩ ذى الحجة ١٣٣٦ إلى يوم السبت ٢٢ شهر رمضان ١٣٤٠.

هـ) المجلد الرابع: ليلة الأحد ٢٣ شهر رمضان ١٣٤٠ إلى ليلة الجمعة ٢ جمادى الأخرى ١٣٤٤.

و كتب أبيات كلّ مجلّد هكذا:

الرسالة المهدوية: ١٢٢٥ بيت.

المجلّد الأوّل والثاني من كتاب الأربعين: ١٣٧٣٧ بيت.

المجلّد الثالث: ١١٨٤٠ بيت.

المجلّد الرابع: ١٠٣٧٤ بيت.

جمع مجلّدات كتاب الأربعين: ٣٥٩٥١ بيت.

استفاد المصنّف من مصادر منوّعة ككتب المتقدّمين و كتب المحدث النوري وروائع القرآن للمفتي مير محمد عباس التستري الهندي، كما شرح بعض الأحاديث بتفصيل تامّ، مستفيداً من علوم شتّى كالرياضيات و النجوم و الفلك و الهندسة و الفلسفة، و كما يورد قسماً من أشعاره باللغتين العربيّة و الفارسيّة خلال شرحه المبسوط على الأحاديث.

وإليك فهرس ما يحتويه الكتاب:

فهرس رسالة المهدوية:

الباب الأوّل: الإمامة و خصائص الأئمة (ص ٢ - ١٦)

الباب الثاني: ما يتعلّق بالإمام المهدي عليه السلام (ص ١٧ - ٢٤)، الجواب عن الشبهات (ص ٢٤ - ٣٠)، علامات ظهوره (ص ٣٠ - ٤٩).

فهرس كتاب الأربعين:

المجلد الأول (المقدمة وحديث ١ تا ٨)

المقدمة: ص ١ - ٥.

حديث ١: الخلقة النورية للنبيّ وعلى (عليهما وآلهما السلام) قبل سائر المخلوقات (ص ٥ - ٦).

حديث ٢: صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبعا (ص ٦ - ١١).

حديث ٣: حديث أبوذر... علي قائد البرة وقاتل الكفرة - الخ (ص ١١ - ٤٣).

حديث ٤: حديث الغدير (ص ٤٣ - ٦١).

حديث ٥: عصمة اهل البيت عليه السلام وآية التطهير (ص ٦١ - ١٠٠).

حديث ٦: اسم امير المؤمنين عليه السلام مقرون باسم رسول الله في الجنة (ص ١٠٠ - ١٥٢).

حديث ٧: علي مع الحق والحق مع علي (ص ١٥٢ - ١٥٦).

حديث ٨: حديث المعراج: انه المبتلى ومبتلى به (ص ١٥٦ - ٢٤١).

المجلد الثاني (حديث ٩ - ٢٠)

حديث ٩: انا المنذر والهادي عليّ، يا علي بك يهتدي المهتدون (ص ٢٤٢ - ٢٤٤).

حديث ١٠: حديث الطير المشوي (ص ٢٤٤ - ٢٦٤).

حديث ١١: لا يحبّ علياً الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق (ص ٢٦٤ - ٢٧٢).

حديث ١٢: حبّ عليّ بن أبي طالب حسنة لا يضرّ معها سيئة (ص ٢٧٤ - ٢٨٨).

حديث ١٣: النظر الى وجه عليّ عبادة (ص ٢٨٨ - ٣٠١).

حديث ١٤: والذي نفسى بيده لولا أن يقول طوائف... (ص ٣٠١ - ٣٣١).

حديث ١٥: يا انس اسكب لي وضوءاً... أوّل من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين... (ص ٣٣١ - ٣٦٣).

حديث ١٦: حديث التشبيه (ص ٣٦٣ - ٣٦٥).
 حديث ١٧: انتهت الدعوة اليّ وإلى عليّ لم يسجد أحدنا لصنم قط (ص ٣٦٥ - ٤٠٠).

حديث ١٨: حديث المنزلة (ص ٤٠٠ - ٤٣٣).
 حديث ١٩: حديث راية خيبر (ص ٤٣٣ - ٤٦٩).
 حديث ٢٠: حديث لواء الحمد (ص ٤٦٩ - ٤٨٤).

المجلد الثالث (حديث ٢١ - ٢٨)

حديث ٢١: حديث الأضراس الثمانية (ص ٢ - ٣٣).
 حديث ٢٢: مدينة العلم (ص ١٣٣ - ١٤٩).
 حديث ٢٣: عليّ سيّد العرب فأحبّوه بحبّي (ص ١٤٩ - ١٦٧).
 حديث ٢٤: ارتقاء عليّ على كتف النبيّ (ص ١٦٧ - ١٩٤).
 حديث ٢٥: إنّ عليّاً عليه السلام يقاتل على تأويل القرآن (ص ١٩٤ - ٢٢٠).
 حديث ٢٦: عليّ عليه السلام قاتل القاسطين والناكثين والمارقين (ص ٢٢٠ - ٢٧٠).
 حديث ٢٧: لألفيتكم ترجعون بعدي كفاراً (وفي خلاله: إثبات الرجعة) (ص ٢٧٠ - ٢٩٦).

حديث ٢٨: حديث سدّ الأبواب (ص ٢٩٦ - ٣٢٠)

المجلد الرابع (حديث ٢٩ - ٤٠)

حديث ٢٩: مثل عليّ مثل قل هو الله احد (ص ٢ - ١٧).
 حديث ٣٠: لايجوز الصراط أحد إلاّ بجوازه عليه السلام (١٧ - ٢٤).
 حديث ٣١: قسيم الجنة والنار (ص ٢٤ - ٤٩).
 حديث ٣٢: من آذى علياً فقد آذاني (ص ٤٩ - ٦٣).
 حديث ٣٣: حق عليّ على المسلمين حقّ الوالد على ولده (ص ٦٣ - ٧٤).
 حديث ٣٤: عليّ مني وأنا منه (ص ٧٤ - ١١١).

حديث ٣٥: ما ورد في قوله تعالى: وأندرك عشيّرك الأقربين (ص ١١١ - ١٥٠).
 حديث ٣٦: حديث ردّ الشمس لعليّ عليه السلام (ص ١٥٠ - ٢٠٢).
 حديث ٣٧: تكلمّ الشمس مع عليّ عليه السلام (ص ٢٠٢ - ٢١١).
 حديث ٣٨: من سرّه أن يحيى حيوتي ويموت مماتي... فليوال عليّاً... (ص ٢١١ - ٢٧٦).

حديث ٣٩: إنّ فيك شبهاً من عيسى (ص ٢٧٦ - ٣١٣).
 حديث ٤٠: أولئك هم خير البرية (ص ٣١٣ - ٣٩٠).
 والكلام حول كتاب الأربعين أكثر مما قلنا، ومن أراد التفصيل، عليه بالرجوع بما
 كتب عبدالحسين الطالعي باللغة الفارسيّة في مجلة كتاب شيعه، التي تصدر في قم،
 العدد ٤.

والحمد لله رب العالمين.

الحديث الثاني عشر

ما نقله السيد الجليل العالم النبيل المحدث البار مولانا السيد هاشم البحراني
 قدس الله سرّه في غاية المرام عن العالم العلّامة الحبر الفهامة موفق بن أحمد من
 أعيان علماء العامّة قال: أنبأني مهذب الأئمّة أبوالمظفر عبد الملك بن عليّ بن
 محمد الهمداني أخبرني أحمد بن نصر بن أحمد حدّثني الحسين بن عليّ بن
 العباس الفقيه أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الهروي بنهاوند أخبرني سليمان بن
 أحمد الطبراني حدّثني محمد بن يونس الطّبي حدّثني محمد بن سعيد الخزاعي
 حدّثني عمر بن حمزة حدّثني ابواسيد بن عيسى حدّثني خلف بن مهران أبو الربيع
 عن انس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «حبّ عليّ بن أبي طالب حسنة لا يضرّ معها سيّئة وُبُغْضه سيّئة
 لا ينفع معها حسنة».

بيان

هذا الحديث مما اتفق على روايته العامة والخاصة.

فروى ابن شهر آشوب في المناقب عن أبي تراب الحدائق والخوارزمي في الأربعين بإسنادهما عن أنس و الدليمي في الفردوس عن معاذ و جماعة عن ابن عمر، قال النبي ﷺ: «حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة و بغضه سيئة لا تنفع معها حسنة».

وفي البحار عن كتاب بشارة المصطفى بإسناده عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«يَا عَلِيُّ لَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ مِثْلُ مَا قَامَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ حَتَّى حَجَّ أَلْفَ حِجَّةٍ، ثُمَّ قُتِلَ بَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرْوَةِ، ثُمَّ لَمْ يُؤَالِكَ يَا عَلِيُّ، لَمْ يَشَمَّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَدْخُلْهَا. أَمَا عَلِمْتَ يَا عَلِيُّ أَنَّ حُبَّكَ حَسَنَةٌ لَا يَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ وَبُغْضُكَ سَيِّئَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهَا طَاعَةٌ؟

يَا عَلِيُّ! لَوْ نَثَرْتَ الدُّرَّ عَلَى الْمُتَنَافِقِ مَا أَحَبَّكَ، وَلَوْ صَرَبْتَ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ مَا أَبْغَضَّكَ؛ لِأَنَّ حُبَّكَ إِيْمَانٌ وَبُغْضُكَ نِفَاقٌ، وَلَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ شَقِيٌّ» (بشارة المصطفى لشيعه المرتضى (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ٩٥)

وفيه عن الطرايف عن ابن مردويه بإسناده عن ابن عباس يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ جَاهِدٌ وَلَايَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ؛ فَيُؤَكَّلُ بِهِ سَبْعُونَ مَلَكًا يَتَفَلَّحُونَ فِي وَجْهِهِ، وَيَحْشُرُهُ اللَّهُ تَعَالَى أَسْوَدَ الْوَجْهِ أَرْزَقَ الْعَيْنِ.

قُلْنَا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! أَيْنَفَعُ حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي الْآخِرَةِ؟ قَالَ: قَدْ تَنَازَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حُبِّهِ، حَتَّى سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَسْأَلَ الْوَحْيَ. فَلَمَّا هَبَطَ جَبْرَائِيلُ، سَأَلَهُ فَقَالَ: أَسْأَلُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ عَنْ هَذَا. فَرَجَعَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَ



يقول: أَحَبَّ عَلَيًّا، فَمَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي. يَا مُحَمَّدُ! حَيْثُ تَكُنْ يَكُنْ عَلَيٌّ، وَحَيْثُ يَكُنْ عَلَيٌّ يَكُنْ مُحِبُّهُ وَإِنْ اجْتَرَحُوا» (الطرائف، ج ١ ص ١٥٦).

وعن فض [الروضة] ويل [الفضائل] عن ابن عباس مثله.

فالأخبار الدالة على مضمون هذا الخبر ومدلول معناه كثيرة مذكورة في زبر الفريقين. وإذا تأمل المنصف في حقيقة هذا الكلام، لم يبق له شك في أنَّ صاحب هذا المقام له مقام فوق كلِّ مقام ودرجة فوق كلِّ درجة. ويسهل عليه حينئذ تعقُّل ما ورد فيه ﷺ أنَّ الله سبحانه يعطيه يوم القيامة لواء الحمد، وأنَّ آدم ومن بعده من النبيين تحت هذا اللواء.

فقد مرَّ أنَّ الأنبياء ﷺ من شيعة عليٍّ ومحبيه، فلا بدَّ أن يكونوا يوم القيامة تحت لواء ولائه المسمَّى بلواء الحمد. فإنَّ المؤمنين لما دخلوا الجنة تحت هذا اللواء يحمدون ربهم وينكشف لهم ما قد رأوه ببصائرهم من ثمرات ولايته ﷺ، ويرون أنَّ من ختم له بالحسنى وهي ولايته ﷺ، فاز بالدرجات العلى وحينئذ يحمدون ربهم بهذه النعمة. وإليه الإشارة بقوله تعالى: «وله الحمد في الأولى والآخرة» (القصص، ٧٠) وقوله تعالى: «وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين» (يونس، ١٠).

هذا ما يظهر لي في وجه تسميته، وليس عندي كتاب أراجع فيه الآن، وأتَّى يتهيباً لمسافر مثلي اجتماع الأسباب العلمية؟ فإن كان ورد بذلك رواية عنهم ﷺ فحبذا، وإلَّا فإني لم أخرج من إرشادات كلماتهم ﷺ، كما لا يخفى على من تدرب فيها.

إنارة فيها بشارة

إن قلت: أليس هذا الخبر منافياً لقوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (الزلزال، ٧ و ٨)؟ ألا ترى أنه إذا صلَّى أعداؤه المبغضون له و صاموا وجاهدوا في سبيل الله وحجَّوا وتزكوا وعملوا بما افترض الله سبحانه عليهم، ثم لم يُجزهم الله سبحانه بأعمالهم؛ وكذلك إذا فسق محبُّوه ﷺ وفجروا وتركوا الصلوة و

الزكوة فغيروا ما افترض الله سبحانه عليهم، ثم لم يجزهم الله سبحانه بما أتوا؛ أفليس ذلك مخالفاً لهذه الآية، أو ليس ذلك مخالفاً لقواعد العدل؟

قلت: حاشا وكلاً، بل هو عين العدل، فإنهم خالفوا الله سبحانه في أصل الإيمان الذي بنى عليه أساسه. ألا ترى أنّ ملكاً من ملوك الأرض إذا نصب لرعيته أحداً منهم و أمرهم بطاعته ومحبتته والتّصيحة له، ثمّ قام واحد منهم وأدّى ما يجب عليه للملك من خراج و أطاعه في جميع أوامره إلّا أنّه لم يطع هذا الرئيس المنصوب، بل خالفه و عصاه و أبغضه و نصب له الحرب، أليس يُعدّ هذا الرجل من أعصى العصاة؟ وهل ينظر إليه الملك نظر رحمة؟ أو ليس قد أفسد جميع ما أتى به من طاعة الملك بهذه المعصية الواحدة؟



وهل يُلامّ ذلك الملك على تعذيبه و زجره و حبسه؟ حاشا وكلاً. بل يستحسن منه تعذيب هذا الطاغى و كلّ ما يفعل به من أنواع النكال، لأنّه لم يخالف المنصوب، بل خالف ناصبه و مقيميه و مشخصه، لا بل سقّه جهله و قبحه في نصبه إيّاه.

٤٧

و كذلك إذا كان رجل يحبّ هذا المنصوب و يتقرّب إليه بمحبّته، ثم خالفه في أداء ما يجب عليه للملك؛ فإن غفر له الملك و عفا عنه لأجل شفاعته هذا الرئيس المنصوب، فلا يُعدّ ظالماً و لا يستقبح فعله و لا يستجهل رأيه.

و أمّا قوله: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» الخ، فإنّ المحبّ الطائع لا شك أنّه يرى ثمرات أعماله. و أمّا المحبّ العاصى فهو أيضاً يرى و يشاهد ما أعدّ له من أنواع العذاب و التّكال. و لولا ما ذبّ عنه مولاه ﷺ بشفاعته عند ربّه سبحانه له، أصابه سيئات ما عمله، فلا منافاة.

ولهذا ورد أنّه ﷺ أعدّ (ادّخر) شفاعته لأهل الكبائر من أمّته. و هذه الشفاعاة التي أذن فيها لمحمد و أبرار عترته صلى الله عليه و عليهم و سلّم، هي أيضاً من بعض ثمرات أعمالهم التي من مقتضى بعضها قبول شفاعتهم عند الله سبحانه. و إليه الإشارة بقوله: «من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم» (البقرة، ٢٥٥) و نظائرها من الآيات.

فلا بد أن يتم الله سبحانه لهم صلوات الله عليهم هذه المرتبة ويكملة لهم وحضر لهم ما وعدهم بنيل تلك الشفاعة، فيشاهدوا ثمرات أعمالهم ولا المبغضون لهم، الذين يأتون بالصلوة والصيام والزكاة وغيرها من الأعمال الحسنة ظاهراً؛ فأول ما فيها أنهم يأتون بها ثم عمل على غير وجهها الذي أمرهم الله سبحانه به، فلا يترتب عليها ثواب أبداً.

وإلى ذلك أشير في قوله تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» (الفرقان، ٢٣) وقوله تعالى: «إنما يتقبل الله من المتقين» (المائدة، ٢٧). والذي فرع من فروع الإيمان الذي بنى أساسه على محبتهم، فلا تقوى إلا بولايتهم. وهكذا في شأن مخالفاتهم جميعاً وإن لم يظهروا بغضه بحسب الظاهر، فإن الخلاف معهم يكفي في بطلان أعمالهم، إذ لا يأتون بها على وجهها الذي أمرهم الله، وهو الكون على ولايتهم عليهم السلام وطريقتهم، كما أشير إليه في قوله تعالى: «ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض» (البقرة، ٢٧؛ الرعد، ٢٥). وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى.

كشف حجاب ورفع نقاب

اعلم - هداًنا الله وإياك إلى سواء الطريق، وسقانا من كؤوس رحيق التحقيق - أن حقائق أهل الإيمان، كما قدمنا بيانه آنفاً، من أشعة أنوار محمد والطاهرين من آل الله عليهم السلام، وإن مقتضى تلك الحقائق إيمان كلّه ونور كلّه وطاعة كلّه ومحبة كلّه وإعراض عما سوى المحبوب الحق سبحانه كلّه؛ بل الخير كلّه بجميع أنواعه وأقسامه؛ فهم صلوات الله وسلامه عليهم أصل كل خير ومعدنه ومأواه ومنتهاه، وعدوهم أصل كل شر ومعدنه ومأواه ومنتهاه، كما ورد في الزيارة الجامعة: «إن ذكر الخير كنتم أوله» - الخ.

وذكر الشيخ شرف الدين بن علي الواعظ النجفي في كتاب تأويل الآيات عن الشيخ الطوسي قدس سره بإسناده عن الفضل بن شاذان بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «نَحْنُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ؛ وَمِنْ فُرُوعِنَا كُلِّ بَرٍّ؛ وَمِنْ الْبِرِّ التَّوْحِيدُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ وَكَطْمُ الْغَيْظِ وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُسِيءِ وَرَحْمَةُ الْفَقِيرِ وَتَعَاهُدُ الْجَارِ وَالْإِفْرَازُ بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهِ. وَعَدُوُّنَا أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ؛ وَمِنْ فُرُوعِهِمْ كُلِّ قَبِيحٍ وَفَاحِشَةٍ؛ فَمِنْهُمْ الْكَذِبُ

وَالنَّمِيمَةُ وَالْبُخْلُ وَالْقَطِيعَةُ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقِّهِ وَتَعَدِّي
الْحُدُودِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرُكُوبُ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ مِنَ الزِّنَاءِ وَ
السَّرِقَةِ وَكُلُّ مَا وَافَقَ ذَلِكَ مِنَ الْقَبِيحِ. وَكَذَبَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفَرْعٍ
غَيْرِنَا» (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ ص ٢٢).

وفي هذا المعنى أخبار آخر.

فإذا كانت حقائق وجودات أهل الإيمان من حيث هي تقتضى الخير والعمل به،
فهي بالطبع متنفرة عن الشر والعمل به؛ وبالعكس في حق أهل الكفر والنفاق.

وأما ما يصدر من المؤمنين مما ينافي ذلك من الأعمال القبيحة و من المنافقين
من الأعمال الحسنة فكلاهما على خلاف اقتضاء الطبيعة الأصلية فهي عوارض تجيء
وتذهب فلا عبرة بها فإنها غير مغيرة للطبيعة؛ اللهم إلا أن تكون الأعمال لكثرة تكرارها
كالطبيعة الثانية به فتغير الطبيعة الأصلية بعض التغيير أو كله كما أشير إليه بقوله تعالى
حكاية عن إبليس أعاذنا الله من شره: «وَأْمَرْنَاهُمْ فليغيّرن خلق الله» (النساء، ١١٩) وبقوله
تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِىَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (الرعد، ١١).

وأما منشأ صدور هذه الأفعال على خلاف مقتضى الطبيعة الأصلية فهو من لطخ
طينتي المؤمن والكافر في بدو الخلقة كما أشير إليه في الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام
منها:....^١

وإذا رجع كل شيء إلى أصله رجعت سيئات المؤمن إلى أصله الذي شعبت منه و
حسنات المخالف إلى أصله الذي تشعبت منه وبهذا يظهر سرّ ما ورد في حديث المفضل
بن عمر من أنه إذا قام القائم عليه السلام حمل عليهما ذنوب الأولين والآخرين أو ما هذا معناه.
وتبين لك حقيقة قوله تعالى: «فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» (الفرقان، ٧٠).

فإذا أتقنت ما ذكرناه لم يصعب عليك فهم معنى هذا الخبر الشريف: «حبّ عليّ
حسنة لا تضرّ معها سيئة و بغضه سيئة لا تنفع معها حسنة» ظاهراً وباطناً.

١. في الهامش: ينبغي هنا إيراد أخبار الطينة

وأما وجه اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بذلك فلما مرّ أنفاً ولأنّه أول من ابتلى بعد النبي صلى الله عليه وآله، وابتلى به الناس كما مرّ من الحديث أنّه لمبتلى ومبتلى به، ولأنّه سبق القضاء الإلهي بذلك وقضى به القدر الرباني.

روى المجلسي رحمته الله في البحار عن البرقي في المحاسن بإسناده عن عبد الله بن يحيى قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: [قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله]: «إِنَّ ابْنِي فَاطِمَةَ اشْتَرَكَ فِي حُبِّهِمَا الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ، وَإِنَّهُ كُتِبَ لِي أَنْ لَا يُجَبِّنِي كَافِرٌ وَلَا يُبَغِضَنِي مُؤْمِنٌ؛ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى» (المحاسن؛ ج ١؛ ص ١٥١).

إشراق

إعلم أيّدك الله سبحانه أنّ لحبّ عليّ عليه السلام عند أرباب القلوب المستنيرة بنور ولايته أنواراً إلهية إذا أشرقت لمعة منها أضواء بها الكون؛ فإذا تجلّى حبّه عليه السلام في قلوب لها أهلية تجلّى هذا النور الشريف ذهبت الظلمات بأسرها وفيت فلا يبقى لها أثر. ومثله مثل الأكسير إذا طرح على سائر الأجساد انقلبت شمساً وإلى هذا المعنى أشار من قال في مدحه عليه السلام:

قل لمن وإلى علي المرتضى لا تخافنّ عظيم السيئات
حبّه الأكسير لو ذرّ على سيئات الخلق صارت حسنات

وإنّ لحبّه ميزاناً يخفّ دونه ميزان كلّ عمل؛ ولما كان النبي صلى الله عليه وآله يعرف ثقل ميزان حبّه لكرامته عند الله سبحانه حقّ معرفته كان فضائله عليه السلام بين أصحابه لينبثّ منهم في أمته إلى يوم القيامة فيتزود كل من أمته بقدر استعداده ونورانيته حتّى لا يبقى أحد منهم إلّا وله نصيب منه فيدخلوا بذلك الجنة ولا يستحقّ أحد منهم النار.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله: «لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى حُبِّ عَلِيٍّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ أَهْلُ الدُّنْيَا مَا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ.» (بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج ٣٩؛ ص ٢٦٧)

وقال صلى الله عليه وآله في حديث أم سلمة: «اسْمَعِي وَأَشْهَدِي لَوَأَنَّ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ أَلْفَ عَامٍ مِنْ

بَعْدِ أَلْفِ عَامٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ مُبْغِضاً لِعَلِيٍّ أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى مَنْحَرِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». (بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج ٣٩؛ ص ٢٦٨)

وذكرهما المجلسي رحمه الله في البحار.

ولحبه عليه السلام نورانية إذا تَلَأَّتْ في قلب أحد تنكشف بها المعضلات وتنحل بها المشكلات وتنفرج بها الهموم وتنجلي بها الغموم ويلين بها الصعاب ويعرف بها معاني الكتاب وفصل الخطاب. ولهذا ورد عنهم عليه السلام :

«ما من عبد أحبنا، وزاد في حبنا، وسئل عن مسألة إلا ونقلنا في روحه جواباً لتلك المسألة» (مجموعه رسائل در شرح احاديثي از کافی؛ ج ١؛ ص ٥٩١؛ رساله شرح حديث «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة»، محمد باقر بن محمد جعفر همداني)

وبحبه تندفع البليات وترتفع الكربات وتجلي أهوال الدنيا عند الحياة وعند الممات وفي القبر وأهواله وسؤال منكرو نكير وأهوال البرزخ وأهوال يوم القيامة من الحساب والجواز على الصراط وهول جهنم وغيرها من الأمور التي وردت بها الشريعة الغراء على السنة أمناء الوحي عليه السلام .

فحبّه عليه السلام مجنّ لصاحبه في هذه المواقف الهائلة التي تحارفيها الأبواب. ولنعم ما قال السيّد الحميرى:

قول علي لحارث عجباً	كم ثم أعجوبة له مثلاً (جملاً)
يا حارهمدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق قبلاً
يعرفني طرفه و أعرفه	بنعته و اسمه و ما فعلاً
وأنت عند الصّراط تعرفني	فلا تخف عشرة و لا زلاً
أسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلوة العسلاً
أقول للنار حين توقف للعر	ض ذرية (دعيه) لا تأخذي الرّجلاً
ذرية (دعيه) لا تأخذه إنّ له	حبلاً بحبل الوصي متصلاً

(الأمالى للمفيد، ص ٧، مجلس ١)

وقال آخر:

عليّ حبه جنة قسيم النار والجنة
وصي المصطفى حقاً إمام الإنس والجنة

تكميل

تأمل فتح الله سبحانه علينا و عليك أبصار قلوبنا لمطالعة أنوار معرفته ومعرفة أوليائه في كمال هذا الشخص الإلهي الذي بلغ به الفيض الرباني إلى حيث تطأ لمقامه كلّ وليّ وتحلّى بحبه كلّ رسول و نبيّ. فلولا أنّ في حقيقة ماهيته ﷺ نور الله الذي أضاء به كلّ شيء وسره الذي سرى في كلّ شيء ووجهه الذي يبقى بعد فناء كلّ شيء وإليه يتوجّه كلّ شيء، لم يكن له هذا المقام بحيث لا ينفع عاملاً عمله إلا بحبه وإن أتى بعمل الثقلين وهو خالٍ من حبه.

وإذا تأملت في هذا الحديث والذي قبله من قوله ﷺ «لا يحبّك إلا مؤمن ولا يُبغضك إلا منافق» ونظرت إليها نظر معتبر ومتفكر، علمت وتحققت أنّ حبه ﷺ هو حقيقة الإيمان، الذي أَراده الحقّ تعالى من الخلق ولا يحتاج إلى غيره، فهو وحده كافٍ في إدخال صاحبه في زمرة أولياء الله سبحانه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومقتضاه أنّ من استقرّ حبه ﷺ في قلبه فهو ناجٍ من أصحاب الخسر؛ ومن أوليائه سبحانه، ولو كان أتى بذنوب الثقلين ما لم يتغيّر القلب عن هيئة المحبة؛ فإنّه قد يتغيّر بتراكم الذنوب عمّا أشير إليه في قوله تعالى: «ذلك بأنّ الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم» (الأنفال، ٥٣)؛ نعوذ بالله من سيئات الأعمال.

وبالعكس؛ من كان في قلبه حبة خردل من بغض عليّ ﷺ فهو هالك من أصحاب النار ومن أعدائه سبحانه ولو أتى بعبادة الثقلين ما لم يتغيّر القلب عن هيئة بُغضه، فإنّه قد يتغيّر بتراكم الأعمال الصالحة حتى يحدث في قلبه المظلم نكتة بيضاء فتتسع وتتسع حتّى ترتفع الظلمة بالكلية ويستعدّ القلب لتجلّي أنوار الحقّ.

فإذا كان كذلك التجلّي بعد غشيان ظلمة بُغضه ﷺ عليه بنور محبّته من حيث

لا يشعر صاحبه فيرى نفسه قائلة من غير سبب ظاهر إليه ﷺ بعد أن كان مُعرضاً عنه مشمئزاً من ذكر اسمه ﷺ، فيرى من نفسه ميلاً إليه وشوقاً قليلاً قليلاً حتى يستولى أنوار محبته على شراشرو وجهه وتشرق شمس ولايته على هيكل إنيتته؛ فينقلب البُغض حباً والظلمة نوراً.

وقد شوهده أمثال ما ذكرناه، وإنما هوفي حق من سبقت لهم من الله الحسنى، جعلنا الله سبحانه منهم.

فإن قلت: فعلى هذا لا حاجة لمحبته ﷺ إلى الأعمال من الصلاة والصيام وسائر الواجبات ولا حرج عليهم في ارتكاب المنهيات؛

قلت: إن مقتضى حبه ﷺ كما سمعت أنفاً هو العمل بالطاعات والاجتناب عن المعاصي، لأن حقيقة المؤمن كما سمعت من نور الله سبحانه؛ ومقتضى التور هو التور. فلا يظهر من المؤمن ما ينافيه من لوازم الظلمة التي هي مقتضى حقيقة عدوه. ولهذا قال مولانا الصادق ﷺ في آخر الحديث المتقدم الذي نقلناه أنفاً من تأويل الآيات: «وكذب من قال أنه معنا وهو متعلق بفرع غيرنا».

وقال علي ﷺ لقوم ادّعوا أنهم من شيعته: «مَا لِي لَا أَرَى عَلَيْكُمْ سِيَمَاءَ الشَّيْعَةِ» (صفات الشيعة؛ ص ١١ حديث ٢٠).

وفي حديث همام في صفات المؤمن أقوى شاهد على ما ذكرنا. وكذا في حديث «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» (الأصول الستة عشر ط - دار الحديث)؛ كتاب درست بن أبي منصور؛ ص ٢٩٣) وكذا في الأخبار التي وردت في صفات الشيعة؛

منها ما ذكره محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول وذكره أصحابنا في كتبهم، قال امير المؤمنين ﷺ لنوف البكالي:

«شِيعَتِي الذُّبُلُ الشَّفَاؤُ الْخُمْصُ الْبُطُونُ الَّذِينَ تُعْرِفُ الرَّهْبَانِيَّةَ وَالرَّبَّانِيَّةَ فِي وُجُوهِهِمْ رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ أَشَدُّ بِالنَّهَارِ الَّذِينَ إِذَا جَتَّهِمُ اللَّيْلُ انْتَزَوْا عَلَى أَوْسَاطِهِمْ وَازْتَدَوْا عَلَى أَطْرَافِهِمْ وَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ وَافْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ فِي

فَكَأَنَّكَ أَعْنَقَهُمْ، وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُكْمَاءُ عُلَمَاءُ كِرَامٍ نُجَبَاءُ أَبْرَارٍ أَتْقِيَاءُ... شِيعَتِي مَنْ لَمْ يَهَرَّ هَرِيرَ الْكَلْبِ وَلَا يَظْمَعُ ظَمْعَ الْغُرَابِ وَلَمْ يَسْأَلِ النَّاسَ وَلُؤْمَاتٍ جُوعاً إِنْ رَأَى مُؤْمِناً أَكْرَمَهُ وَإِنْ رَأَى فَاسِقاً هَجَرَهُ هَوْلَاءُ وَاللَّهُ يَا نَوْفُ شِيعَتِي» (كنز الفوائد؛ ج ١؛ ص ٨٨)

وفي هذا المعنى أخبار كثيرة.

فقول السائل: «لا حاجة لمحبيه ﷺ إلى الأعمال الصالحة» ناشٍ من الجهل بمقامات محبته ومحبته ﷺ، وهم أحوج خلق الله تعالى إلى الأعمال الصالحة، تقرباً إلى الله سبحانه بطاعته ﷺ في ما أمر به والانتفاء عما نهى عنه، لأن طاعته طاعة النبي ﷺ و طاعته طاعة الله سبحانه؛ ومحبته محبة النبي ﷺ، ومحبته محبة الله سبحانه.

ومحبة النبي ﷺ إنما تتحقق بمتابعته، كما قال الله عز وجل: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (آل عمران، ٣١).

وذلك لأن المحب يهوى ما يهوى حبيبه ولا يؤثر على هوى حبيبه هوى نفسه، وإلا لم يتحقق المحبة. ولنعم ما قيل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع

فعلامه محبته ﷺ إنما هي العمل بما أمر الله سبحانه والكف عما نهى تعالى عنه. وأما ما يرى من محبيه ﷺ من الأعمال القبيحة؛ فاعلم هداك الله تعالى أن الإنسان وإن علا مكانه وارتفع شأنه فإنه لا ينال رتبة العصمة التي خصها الله سبحانه من بين عباده بعباده المخلصين من الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم المرضيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم المرادون بقوله سبحانه: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» (الحجر، ٤٢) وقوله عز وجل حكاية عن إبليس لعنه الله تعالى: «فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ». (ص، ٨٢ و ٨٣).

فلا يسلم أحد من الخطايا والذنوب غيرهم ﷺ. ولذا ترى إذا مدح الله سبحانه سائر الناس من عباده المؤمنين قال تعالى فيهم: «الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبَارَ الْإِنْتِغَامِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» (النجم، ٣٢).

وقد ذكرنا منشأ صدور الذنوب من المؤمنين من قبل، وإن ذلك في الحقيقة عَرَض يزول، وإن ذنوب محبّيه التي ارتكبوها وإن بلغت ما بلغت، ما لم تغط قلوبهم وتغش افئدتهم وتغيّر ما بهم من حقائق الإيمان، إذا أشرقت ولايته عليه السلام تنمحي بآثارها وتفنّي، كما روي أنّ التّار تقول للمؤمن يوم القيامة: «جُزياً مؤمن فإنّ نورك يطفئ ناراً»

وذلك لأنّ القلب الصّنوبري إذا ثبت ولم تتزلزل واستقام على صحّته لم يضّر صاحبه ما طرأ على سائر أعضائه وجوارحه من الأمراض، وتلك الأمراض لا توجب الموت للمريض مادام للقلب حركة. وكذلك إذا استقرّ القلب الذي هو عرش للرحمن ولم تؤثر فيه أمراض الخفايا بحيث تمنعه من النور الإلهي وتحجبه من الاستنارة به، فإنّ صاحبه ناج ولا يضُرّه تلك الخطايا مادام القلب مستنيراً بنور ولايته ومحبّته عليه السلام، وإنّها تزول بزوال أسبابها من الغفلات والشّهوات، وتتدارك الرّحمة الإلهيّة ما لحق المؤمن من كدورات تلك العوارض، فإذا هي كأن لم تكن وإذا هو كما كان في أصل الفطرة.

وليس معنى قولنا أنّ حقيقة المؤمن مقتضاها العمل بالطاعات، هو العصمة. ولا معنى هذا الخبر أنّ المؤمن غير مكلف فليفعل ما يشاء كما يُظنّ في بادي الرّأي، بل أولى النّاس بالطاعات والاجتناب عن المعاصي وأحقّهم بها وأحوجهم إليها هو المؤمن ليزداد قرباً إلى ربّه وبعداً من سخطه، ولكنّ الله سبحانه يعفو بفضله عن جرائمه لكرامته عليه السلام عند الله وقرب منزلته منه، جعلنا الله سبحانه بفضله وكرمه من شيعته وحشراً في زمرة بمحمد وآله صلوات الله عليهم.

تنبيه وإيقاظ

إذا عرفت ما ذكرناه فاعلم أنّه يجب على المؤمن في كلّ لحظة من لحظاته وكلّ حركة من حركاته تحصيل رضی الله تعالى بطاعته وطاعة موالیه صلوات الله وسلامه عليهم والاجتناب عمّا يوجب سخط الله سبحانه وسخطهم عليهم السلام، فيتقرّب بذلك إلى الله سبحانه وإليهم عليهم السلام، وليلازم الاستغفار عن ذنوبه التي أثقلت ظهره، استغفار نادم تاب عمّا اقترفه، وذكر الله سبحانه في كلّ أحواله سرّاً وجهراً؛ فيتخلّق بأخلاق الله سبحانه ويذهب عنه ما غشي حقيقة فطرته من ظلمات الذنوب، وليجعل الخوف والخشية و

التّقوى أبداً نصب عينيه، فيتحقّق عند ذلك له حقيقة الرّجاء من عمله وإلا كان الرّجاء كسرّاب بقيعة يحسبه الظّمان ماءً حتى إذا جائه لم يجد شيئاً.

ولذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «يَدْعِي بِرَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ كَذَبَ وَالْعَظِيمَ مَا بَالُهُ لَا يَتَّبِعُنْ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ» (نهج البلاغة؛ ص ٢٢٥، الخطبة ١٦٠). ومن كلام له عليه السلام: «وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ فَمَا ظَابَ ظَاهِرُهُ ظَابَ بَاطِنُهُ وَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ عليه السلام إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ» (نهج البلاغة؛ ص ٢١٦، الخطبة ١٥٤).

ولذا ترى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يحثّ في مواعظه وخطبه وكلماته شيعته على التّقوى والرّهد في الدّنيا والرّغبة إلى الآخرة ويعلمهم محاسن الأخلاق ومكارمها و يحثّهم على ذكر الله سبحانه وذكر الموت وجعله نصب العين وعلى خوف الله جلّ جلاله ورجائه؛ كلّ ذلك تذكيراً لشيعته ومواليه وهداية لهم إلى طريق القرب من الله جلّ جلاله.

فيا أيّها المؤمن الذي ينتحل ولايته وتدّعي محبّته! اتّبع مولاك في ما أمره واحذر كلّ الحذر من مخالفته، واعلم أنّ المحبّة لا تثبت لمحبّ إلا إذا شوهد منه آثارها وتظهر عليه علاماتها ولن تنال ذلك إلا باقتفاء آثارهم عليهم السلام واتّباع هداهم في كلّ حالٍ من حالاتك و كلّ حركة من حركاتك.

وهذا هو ذكر الله سبحانه على الحقيقة ولا هيئة له مخصوصة كما استشعره جماعة و هو الذّكر القلبي الذي يوصل صاحبه إلى درجات القدس ومراتب الأنس بالله وبأوليائه، لا مجرّد لقلقة اللسان مع غفلة الجنان.

وهيئة هذا الذّكر القلبي هو جعل رضى الله سبحانه وأوليائه أبداً في كلّ أن نصب العين؛ مثلاً إذا أراد أن ينطق بشيء نطق بما يرضى الله سبحانه، أو أراد أن يمشي خطوة لاحظ رضاه سبحانه، أو أراد أن يغضب غضب الله سبحانه، أو يأكل أو ينام أو يفعل فعلاً ما، كائناً ما كان، جعل رضى الله سبحانه نصب العين.

فهذا الذكر القلبي إذا واطب عليه المؤمن شرح الله سبحانه صدره للإسلام وأتاه نوراً يتجلى من باطنه فيفوز بعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعى الله تعالى به أجاب وإذا سئل به أعطي. وأيم الله إن هذا هو السر المكنون الذي لا يناله إلا المطهرون من الأولى سبقت لهم من الله الحسنى، وقليل ما هم، جعلنا الله من الذاكرين وحشرنا في زمرة أوليائه المخلصين، إنه لطيف لما يشاء.

وبالجملة إذا أمعنت وتأملت، علمت أن معنى قوله ﷺ «حب علي حسنة - الخ» لا ينطبق إلا على ما ذكرته؛ فإنه قد اندرج في حبه جميع الكمالات الظاهرية والمعنوية، إذا عمل محبه بما يقتضيه حبه ﷺ من ظهور آثاره وعلاماته، وهي الإيمان بالله وبأوليائه ﷺ واليوم الآخر والتسليم لأمره تعالى وإحراز الفضائل من التخلق بأخلاق الله سبحانه التي ندب الله سبحانه وأوليائه ﷺ إليها والوقوف عند أوامره ونواهيهم وعدم التعدي عن حدوده تعالى التي حدّها وبينها لعباده على ألسنة أنبيائه وأوليائه ﷺ. فإن زلت بمحب له ﷺ حينئذ قدم فإن الله سبحانه يغفره ويعفو عنه بلا شك وارتباب، وكان داخلًا تحت اللطم الذي وعد الله سبحانه مغفرته له في قوله تعالى: «الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم إن ربك واسع المغفرة» (النجم، ٣٢).

واعلم أن لحبه ﷺ درجات ومراتب؛ أعلاها درجة وهي العصمة، وهي مختصة بالأنبياء والأولياء والملائكة ﷺ، ولذا وردت في الأخبار أن الأنبياء ﷺ كانوا يتوسلون بعلي ﷺ عند الشدائد ويعدون أنفسهم من شيعته ومحبيه. (انظر: باب أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين، بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٣٣٤ - ٣١٩).

ورود في تفسير قوله تعالى: «وإن من شيعته لإبراهيم» (الصافات، ٨٣) عن مولانا الصادق ﷺ أنه قال: «قوله عز وجل: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ، أَيُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنْ شِيعَةِ عَلِيِّ [عليهما السلام]» (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ ص ٤٨٥). ذكره الشيخ شرف الدين في تأويل الآيات.

وروى أيضاً عن أبي جعفر ﷺ أنه قال للراوي: لِيَهْنِكُمْ الاسم، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: الشَّيْعَةُ. قُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُونَنَا بِذَلِكَ. قَالَ: أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ، وَقَوْلَهُ: فَاسْتَعَانَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ [القصص، ١٥].

و معنى إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ أي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كما قال سبحانه: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ [يس، ٤١] أي ذرية من هوأب لهم فجعلهم ذرية لهم وقد سبقوهم إلى الدنيا. (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ ص ٤٨٤ و ٤٨٥).

قال الشيخ شرف الدين بعد ذكر الخبرين:

و الخبران متوافقان لأن كل من كان من شيعة النبي ﷺ فهو من شيعة علي و كل من كان من شيعة علي فهو من شيعة النبي صلى الله عليه و آله و آلهما و على ذريتهما الطيبين. (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ ص ٤٨٥)

وفيه عن الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ يَحْيَى بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ سَأَلَ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ الْجَعْفِيُّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا خَلَقَ إِبْرَاهِيمَ كَشَفَ لَهُ عَنْ بَصَرِهِ فَنَظَرَ فَرَأَى نُورًا إِلَى جَنْبِ الْعَرْشِ فَقَالَ إِلَهِي مَا هَذَا النُّورُ فَقِيلَ لَهُ هَذَا نُورُ مُحَمَّدٍ صَفَوْتِي مِنْ خَلْقِي وَرَأَى نُورًا إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ إِلَهِي وَمَا هَذَا النُّورُ فَقِيلَ لَهُ هَذَا نُورُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَاصِرِ دِينِي وَرَأَى إِلَى جَنْبِهِمْ ثَلَاثَةَ أَنْوَارٍ فَقَالَ إِلَهِي وَمَا هَذِهِ الْأَنْوَارُ فَقِيلَ لَهُ هَذَا نُورُ فَاطِمَةَ فَطَمَتْ مُحِبَّيْهَا مِنَ النَّارِ وَنُورُ وَلَدَيْهَا الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَالَ إِلَهِي وَارْأَى تِسْعَةَ أَنْوَارٍ قَدْ أَحَدَقُوا بِهِمْ قِيلَ يَا إِبْرَاهِيمَ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةُ مِنْ وَلَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ إِلَهِي بِحَقِّ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ إِلَّا عَزَفْتَنِي مِنَ التَّسْعَةِ. قِيلَ: يَا إِبْرَاهِيمَ أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَابْنُهُ مُحَمَّدٌ وَابْنُهُ جَعْفَرٌ وَابْنُهُ مُوسَى وَابْنُهُ عَلِيُّ وَابْنُهُ مُحَمَّدٌ وَابْنُهُ عَلِيُّ وَابْنُهُ الْحَسَنُ وَالْحُجَّةُ الْقَائِمُ ابْنُهُ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ إِلَهِي وَسَيِّدِي ارْأَى أَنْوَارًا قَدْ أَحَدَقُوا بِهِمْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا أَنْتَ قِيلَ يَا إِبْرَاهِيمَ هَؤُلَاءِ شِيعَتُهُمْ شِيعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَبِمَا تَعْرِفُ شِيعَتُهُ قَالَ بِصَلَاةٍ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَالْجَهْرَبِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْقُنُوتِ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَالتَّحَنُّمِ فِي الْيَمِينِ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فَقَالَ وَإِنَّ

مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ. (نفس المصدر، ص ٤٨٥ و ٤٨٦).

وفيه روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ وَرُسُولُهُ وَنَحْنُ وَشِيعَتُنَا وَالبَاقِي فِي النَّارِ». (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ ص ٤٨٦).

قال رحمه الله تعالى: «فتعين أن جميع أهل الإيمان من الأنبياء والرسل وأتباعهم من شيعتهم؛ وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: لَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ عَلَى حُبِّ عَلِيٍّ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ النَّارَ؛ فافهم ذلك». انتهى. (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ ص ٤٨٦)

وفيه عن الشيخ الصدوق قدس سره في كتاب النبوة بإسناده مرفوعاً عن المفصل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال:

«سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ قَالَ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاها آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنْ قَالَ يَا رَبِّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ إِلَّا تُبَّتْ عَلَيَّ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ - إلى آخر الحديث». (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ ص ٨٢)

والروايات في معنى ما ذكرناه كثيرة مشهورة بين العلماء مذكورة في كتبهم. وفي ما ذكرناه كفاية لأهل الهداية.

وأما الملائكة عليه السلام؛ فمحببتهم له ولذريته عليه وعلية السلام معلومة وفي الكتب مشهورة ولشدة اشتياقهم إليه عليه السلام جعل الله سبحانه له مثلاً في السماء تزوره الملائكة كما روى المجلسي في البحار عن ابن عباس عن النبي ﷺ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِمَحَبَّتِهِ (بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج ٣٩؛ ص ٩٣)

وفيه عن مناقب ابن شهر آشوب عن ابن عباس، والحديث مختصر:

«لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ رَأَى مَلَكًا عَلَى صُورَةِ عَلِيٍّ حَتَّى لَا يُفَاوِتُ مِنْهُ شَيْئًا فَظَنَّهُ عَلِيًّا فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ سَبَقْتَنِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ فَقَالَ جَبْرِئِيلُ عليه السلام لَيْسَ هَذَا عَلِيٌّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ هَذَا مَلَكٌ عَلَى صُورَتِهِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ اسْتَأْذَنُوا إِلَى

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَكُونَ مَنْ عَلَى صُورَتِهِ فَيَرَوْنَهُ» (بحار الأنوار ط - بيروت)؛ ج ٣٩؛ ص ٩٨).

وفي حديث حذيفة أنه رآه في السماء الرابعة

وفيه عن الأمالي للصدوق بإسناده عن سيد الشهداء الحسين بن علي عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ :

«يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ أَنَا الْمُصْطَفَى لِلنَّبُوءَةِ وَأَنْتَ الْمُجْتَبَى لِلْإِمَامَةِ وَأَنَا صَاحِبُ التَّنْزِيلِ وَأَنْتَ صَاحِبُ التَّأْوِيلِ وَأَنَا وَأَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي وَأَبُو وَلَدِي شِيعَتُكَ شِيعَتِي وَأَنْصَارُكَ أَنْصَارِي وَأَوْلِيَاؤُكَ أَوْلِيَايَ وَأَعْدَاؤُكَ أَعْدَائِي يَا عَلِيُّ أَنْتَ صَاحِبِي عَلَى الْخَوْصِ غَدَاً وَأَنْتَ صَاحِبِي فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَأَنْتَ صَاحِبُ لَوَائِي فِي الْآخِرَةِ كَمَا أَنْتَ صَاحِبُ لَوَائِي فِي الدُّنْيَا لَقَدْ سَعِدَ مَنْ تَوَلَّاكَ وَشَقِيَ مَنْ عَادَاكَ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِمَحَبَّتِكَ وَوَلَايَتِكَ وَاللَّهُ إِنْ أَهْلَ مَوَدَّتِكَ فِي السَّمَاءِ لَأَكْثَرُ مِنْهُمْ فِي الْأَرْضِ يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَمِينُ أُمَّتِي وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهَا بَعْدِي قَوْلُكَ قَوْلِي وَأَمْرُكَ أَمْرِي وَطَاعَتُكَ طَاعَتِي وَزَجْرُكَ زَجْرِي وَنَهْيُكَ نَهْيِي وَمَعْصِيَّتُكَ مَعْصِيَّتِي وَحِزْبُكَ حِزْبِي وَحِزْبِي حِزْبُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. (بحار الأنوار ط - بيروت)؛ ج ٣٩؛ ص ٩٣).

وفيه عن إرشاد القلوب من كفاية الطالب عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :

«مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ وَإِذَا أَنَا بِمَلِكٍ جَالِسٍ عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ نُورٍ وَ الْمَلَائِكَةُ تَحْدِقُ بِهِ فَقُلْتُ يَا جَبْرَيْلُ مَنْ هَذَا الْمَلِكُ فَقَالَ اذْنُ مِنْهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا أَنَا بِأَخِي وَابْنِ عَمِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع فَقُلْتُ يَا جَبْرَيْلُ سَبِّحْنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَقَالَ لَا يَا مُحَمَّدُ وَلَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ شَكَّتْ حُبَّهَا لِعَلِّي فَخَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْمَلِكَ مِنْ نُورِ عَلِيٍّ وَ صُورَةِ عَلِيٍّ فَالْمَلَائِكَةُ تَزُورُهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ سَبْعِينَ مَرَّةً وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَقْدِسُونَهُ وَ يُهْدُونَ ثَوَابَهُ لِمُحِبِّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (بحار الأنوار ط - بيروت)؛ ج ١٨؛ ص ٣٨٦)

وفيه عن كتاب الطرائف عن مناقب أخطب خوارزم بإسناده عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال:

«صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْعَصْرِ وَأَبْطَأَ فِي رُكُوعِهِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ سَهَا وَغَفَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ أَوْجَزَ فِي صَلَاتِهِ وَسَلَّم ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي وَسْطِ النُّجُومِ ثُمَّ جَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَسَطَ قَامَتَهُ حَتَّى تَلَأَ الْمَسْجِدَ بُنُورَ وَجْهِهِ ثُمَّ رَمَى بَطْرِفِهِ إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ رَجُلًا رَجُلًا ثُمَّ رَمَى نَظْرَهُ إِلَى الصَّفِّ الثَّانِي ثُمَّ رَمَى نَظْرَهُ إِلَى الصَّفِّ الثَّالِثِ يَتَفَقَّدُهُمْ رَجُلًا رَجُلًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ كَثُرَتِ الصُّفُوفُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ مَا لِي لَا أَرَى ابْنَ عَمِّي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ ﷺ مِنْ آخِرِ الصُّفُوفِ وَهُوَ يَقُولُ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَادَى النَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَى صَوْتِهِ اذْنُ مَتِي يَا عَلِيُّ فَمَا زَالَ يَتَخَطَّى رِقَابَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ حَتَّى دَنَا الْمُتَرَضِّى مِنَ الْمُصْطَفَى وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا الَّذِي خَلَفَكَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ قَالَ شَكَّكْتُ أَتَنِي عَلَى غَيْرِ طَهْرٍ فَأَتَيْتُ مَنْزِلَ فَاطِمَةَ ﷺ فَنَادَيْتُ يَا حَسَنُ يَا حُسَيْنُ يَا فِضَّةُ فَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدًا فَإِذَا بِهَا تَنَفَّسُ يَهْتَفُ مِنْ وَرَائِي وَهُوَ يَنَادِي يَا أَبَا الْحَسَنِ يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ التَّفَتُّ فَالتَفَتْتُ فَإِذَا أَنَا بِسُظْلٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِيهِ مَاءٌ وَعَلَيْهِ مُنْدِيلٌ فَأَخَذْتُ الْمُنْدِيلَ فَوَضَعْتُهُ عَلَى مَنْكِبِي الْأَيْمَنِ وَأَوْمَأْتُ إِلَى الْمَاءِ فَإِذَا الْمَاءُ يُفِيضُ عَلَى كَفِّي فَتَطَهَّرْتُ وَأَشْبَعْتُ الظُّهْرَ وَلَقَدْ وَجَدْتُهُ فِي لَبَنِ الزُّبْدِ وَطَعِمَ الشَّهْدَ وَرَائِحَةَ الْمُسْكِ ثُمَّ التَّفَتُّ وَلَا أَذْرِي مَنْ أَخَذَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَلَا أَبَشِّرُكَ إِنَّ السُّظْلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْمَاءَ وَالْمُنْدِيلَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَالَّذِي هَيَّاكَ لِلصَّلَاةِ جَبْرِئِيلُ ﷺ وَالَّذِي مَنَّكَ مِيكَائِيلُ ﷺ وَالَّذِي نَفَسَ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ مَا زَالَ إِسْرَافِيلُ قَابِضًا بِيَدِي عَلَى رُكْبَتَيَّ حَتَّى لَحِقْتُ مَعِيَ الصَّلَاةَ وَأَذْرَكْتَ ثَوَابَ ذَلِكَ أَفِيْلُومُنِي النَّاسُ عَلَى حُبِّكَ وَاللَّهُ تَعَالَى وَمَلَأَ يَكْتَهُ يُجَبُّونَكَ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ». (بحار الأنوار - ط - بيروت)؛ ج ٣٩؛ ص ١١٦ و ١١٧.

وبالجملة؛ الأخبار في هذا الباب كثيرة أورد أكثرها العلامة المجلسي في البحار.

وبعد هذه الدرجة درجة المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان والتقوى من سائر الرعية كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وكميل وميثم ومن هو على أقدامهم في كل عصر وزمان ثم الأمثل فالأمثل إلى أن ينتهي إلى الذين لاحظ لهم من مقامات محبته والكمالات التي يختص الله سبحانه بها العارفين من أهل محبته على حسب درجات استعداداتهم.

واعلم أن محبته ﷺ بأي درجة كانت تنفع من تلبس بها بحسب تلك الدرجة و بحسب صفاء فطرة محبته و كدورتها.

إستبصار

لا يختص محبته ﷺ بجنس الحيوان أي الإنسان والملك والجآن وغيرهم؛ بل محبته منبثة بين الموجودات كلها، بل هي العلة العظمى لإيجاد الأشياء وعلى محبته تدور رحى الكائنات والأفلاك بكواكبها ونجومها دائرة سائرة على محبته مطيعة لإرادته. والأرض بمن عليها من معادنها ونباتها وحيوانها هائمة في حبه منقادة لمشيئته والملائكة على اختلاف أصنافها وتفاوت مراتبها ودرجاتها في القرب الرباني مشتاقة له حاضرة لطاعته مفتخرة بخدمته والعناصر الأربعة مشغوفة مشعوفة له مطيعة لأمره ونهي، والجآن تحبه وتهواه وتطيعه في ما يهوله.

والأخبار التي وردت من نواحي أهل العصمة على ما قلناه دالة ولما ذكرناه شاهدة وبصحة ناطقة. وربما مررت منا إشارة إلى ما ذكرناه في هذا الكتاب في الأحاديث السابقة. وهذه نبذة يسيرة أذكرها بعون الله تعالى.

ففي البحار عن الخرائج: روي عن الحارث الأعور قال:

«بَيْنَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ يَخْطُبُ بِالْكُوفَةِ عَلَى الْمُنْبَرِ إِذْ نَظَرَ إِلَى زَاوِيَةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ يَا قُنْبَرُ إِنِّي بِمَا فِي ذَلِكَ الْجُحْرِ إِذَا هُوَ بِأَرْقَطِ حَيَّةٍ بِأَحْسَنِ مَا يَكُونُ فَأَقْبَلَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَجَعَلَ يُسَارُهُ ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى الْجُحْرِ فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَالُوا وَمَا لَنَا لَا نَعَجَّبُ قَالَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْحَيَّةَ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَمِنْكُمْ

مَنْ يَسْمَعُ وَمِنْكُمْ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُطِيعُ قَالَ الْحَارِثُ فَكُنَّا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُنَاسَةٍ إِذْ أَقْبَلَ أَسَدٌ تَهْوِي مِنَ الْبَرِّ فَتَقَضَّضْنَا مِنْ حَوْلِهِ وَجَاءَ الْأَسَدُ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى بَيْنِ أُذُنَيْهِ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ارْجِعْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا تَدْخُلِ الْهَجْرَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ وَأَبْلَغِ السَّبَاعَ عَنِّي». (بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج ٤١؛ ص ٢٣١).

والمراد بالهجرة دار الهجرة فإن الكوفة كانت دار هجرته. كذا أفاد المجلسي رحمه الله. (نفس المصدر).

وفيه عن كتاب كشف الحق للعلامة (ره) من كتاب الأربعين لمحمد بن مسلم بن أبي الفوارس بإسناده عن حبة بنت زريق قالت:

«حَدَّثَنِي زَوْجِي مُنْقِذُ بَنِ الْأُبَيْعِ الْأَسَدِيُّ أَحَدَ خَوَاصِّ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النِّصْفِ مِنْ شُعْبَانَ وَهُوَ يُرِيدُ مَوْضِعًا لَهُ كَانَ يَأْوِي فِيهِ بِاللَّيْلِ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى الْمَوْضِعَ فَنَزَلَ عَنْ بَعْلَتِهِ وَرَفَعَتْ عَنْ أُذُنَيْهَا وَجَدَّتْنِي فَحَسَّ بِذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ مَا وَرَاءَكَ فَقُلْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي الْبَغْلَةُ تَنْظُرُ شَيْئًا وَقَدْ شَخَصَتْ إِلَيْهِ وَتُحَمِّجُهُ وَلَا أَذْرِي مَا ذَا دَهَاها فَتَنْظُرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى سَوَادٍ فَقَالَ سَبْعُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ فَقَامَ مِنْ مَحْرَابِهِ مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ فَجَعَلَ يَخْطُوهُمْ قَالَ صَاحَ بِهِ قُفْ فَخَفَّ السَّبْعُ وَوَقَفَ فَعِنْدَهَا اسْتَقَرَّتِ الْبَغْلَةُ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا لَيْثُ أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي اللَّيْثُ وَأَتَى الصَّرْعَامَ وَالْقُسُورَ وَالْحَيْدَرُ ثُمَّ قَالَ مَا جَاءَ بِكَ أَيُّهَا اللَّيْثُ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَنْطِقْ لِسَانَهُ فَقَالَ السَّبْعُ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا خَيْرَ الْوَصِيِّينَ وَيَا وَارِثَ عِلْمِ النَّبِيِّينَ وَيَا مُفَرِّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ مَا افْتَرَسْتُ مُنْذُ سَبْعِ شَيْئًا وَقَدْ أَضْرَبِي الْجُوعَ وَرَأَيْتُكُمْ مِنْ مَسَافَةٍ فَرَسَخَيْنِ فَدَنَوْتُ مِنْكُمْ وَقُلْتُ أَذْهَبُ وَأَنْظُرُ مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَمَنْ هُمْ فَإِنْ كَانَ بِهِمْ لِي مَقْدَرَةٌ وَيَكُونُ لِي فِيهِمْ فَرِيْسَةٌ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُجِيبًا لَهُ أَيُّهَا اللَّيْثُ أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي عَلِيُّ أَبُو الْأَشْبَابِ [الْأَشْبَالِ] الْأَخْدَ الْعَشَرَ بَرَأْتَنِي أَمْثَلُ مِنْ مَخَالِيكَ وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَرَيْتُكَ ثُمَّ امْتَدَّ السَّبْعُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَمْسَحُ يَدَهُ عَلَى هَامَتِهِ وَيَقُولُ مَا جَاءَ بِكَ يَا لَيْثُ أَنْتَ كُلُّبُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ قَالَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْجُوعُ الْجُوعُ قَالَ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّهُ يُرْزَقُ بِقَدْرِ مُحَمَّدٍ وَ

أَهْلُ بَيْتِهِ قَالَ فَالْتَفَتْتُ إِذَا بِالْأَسَدِ يَأْكُلُ شَيْئاً كَهَيْئَةِ الْجَمَلِ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا نَأْكُلُ نَحْنُ مَعَاشِرَ السَّبَاعِ رَجُلًا يُحِبُّكَ وَيُحِبُّ عِزَّتَكَ
فَإِنْ خَالِي أَكَلَ فَلَنَا وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ نَنْتَحِلُ مَحَبَّةَ الْهَاشِمِيِّ وَعِزَّتِهِ ثُمَّ قَالَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَيُّهَا السَّبْعُ أَتَيْنَ تَأْوِي وَأَيْنَ تَكُونُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مُسَلِّطٌ
عَلَى كِلَابِ أَهْلِ الشَّامِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَيْتِي وَهُمْ فَرِيسَتُنَا وَنَحْنُ نَأْوِي النَّيْلَ قَالَ
فَمَا جَاءَ بِكَ إِلَى الْكُوفَةِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَيْتُ الْحِجَازَ فَلَمْ أَصَادِفْ شَيْئاً وَ
أَنَا فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ وَالْفَيَافِي الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا وَلَا خَيْرٌ مَوْضِعِي هَذَا وَإِنِّي لَمُنْصَرِفٌ
مِنْ لَيْلَتِي هَذِهِ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ سِنَانُ بْنُ وَابِلٍ فِيمَنْ أَفَلَتَ مِنْ حَرْبٍ صَفِيْنٍ يَنْزِلُ
الْقَادِسِيَّةَ وَهُوَ رِزْقِي فِي لَيْلَتِي هَذِهِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَنَا إِلَيْهِ مُتَوَجِّهٌ ثُمَّ قَامَ مِنْ
بَيْنِ يَدَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ لِي مِمَّ تَعَجَّبْتَ هَذَا أَعَجَبَ مِنْ [أَم] الشَّمْسِ
أَمْ الْعَيْنِ أَمْ الْكَوَاكِبِ أَمْ سَائِرُ ذَلِكَ فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَوْ أَحْبَبْتُ أَنْ
أَرَى النَّاسَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ آيَاتِ وَالْعَجَائِبِ لَكَانُوا يَوْجِعُونَ كَفَّاراً
ثُمَّ رَجَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ وَجَهَنِي إِلَى الْقَادِسِيَّةِ فَرَكِبْتُ مِنْ لَيْلَتِي
فَوَافَيْتُ الْقَادِسِيَّةَ قَبْلَ أَنْ يُقِيمَ الْمُؤَذِّنُ الْإِقَامَةَ فَسَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ افْتَرَسَ
سِنَانُ السَّبْعُ فَاتَيْتُهُ فِيمَنْ أَتَاهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ - فَمَا تَرَكَ الْأَسَدُ إِلَّا رَأْسَهُ وَبَعْضَ أَعْضَائِهِ
مِثْلَ أَظْرَافِ الْأَصَابِعِ وَإِنِّي عَلَى بَابِهِ تُحْمَلُ رَأْسُهُ إِلَى الْكُوفَةِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام
فَبَقِيتُ مُتَعَجِّباً فَحَدَّثْتُ النَّاسَ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام
وَالسَّبْعِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بِثَرَابِ تَحْتِ قَدَمَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْتَشْفُونَ بِهِ
فَقَامَ خَطِيباً فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَعَاشِرَ النَّاسِ مَا أَحَبَّنَا رَجُلٌ فَدَخَلَ
النَّارَ وَمَا أَبْغَضَنَا رَجُلٌ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَنَا قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَقْسِمُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ
النَّارِ هَذِهِ إِلَى الْجَنَّةِ يَمِيناً وَهَذِهِ إِلَى النَّارِ شِمَالاً أَقُولُ لِحَبَنِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَذَا لِي
وَهَذَا لَكَ حَتَّى تَجُوزَ شِيعَتِي عَلَى الصِّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ وَالرَّاعِدِ الْعَاصِفِ
وَكَالطَّيْرِ الْمُسْرِعِ وَكَالْجَوَادِ السَّابِقِ فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِاجْمَعِهِمْ عُنُقاً وَاحِداً وَهُمْ
يَقُولُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ قَالَ ثُمَّ تَلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع
هَذِهِ آيَةُ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ». (بحار الأنوار، ج ٤١ ص ٢٣٢-٢٣٥).

وفيه عن مجالس الشيخ بإسناده عن أبي مريم عن سلمان قال:

«كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَتَنَاوَلَهُ حَصَاةً فَمَا اسْتَقَرَّتِ الْحَصَاةُ فِي كَفِّ عَلَيٍّ ﷺ حَتَّى نَطَقَتْ وَهِيَ تَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَبِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَلِيًّا ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ رَاضِيًا بِاللَّهِ وَبِوَلَايَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ آمَنَ خَوْفَ اللَّهِ وَعِقَابِهِ». (بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج ٤١؛ ص ٢٥١ و ٢٥٢).

وفيه عن مناقب ابن شهر آشوب رحمه الله تعالى: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَدِيقَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَأَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ وَحَمْدَانَ بْنِ الْمُعَافَى عَنِ الرِّضَا ﷺ وَمُحَمَّدُ بْنُ صَدَقَةَ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ﷺ وَلَقَدْ أَنْبَأَنِي أَيْضاً شَيْرَوْنَهُ الدِّلَمِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ آبَائِهِ ﷺ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ إِذَا جَعَلَ خُمْسَهُ فِي خُمْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا خُمْسَيْنِ أَحْسَنَ مِنْهُمَا إِذَا مَرَرْنَا عَلَى نَخْلِ الْمَدِينَةِ فَصَاحَتْ نَخْلَةٌ أُخْتَهَا هَذَا مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى وَهَذَا عَلِيُّ الْمُرْتَضَى فَاجْتَرْنَاهُمَا فَصَاحَتْ ثَانِيَةً بِثَالِثَةِ هَذَا نُوحُ النَّبِيِّ وَهَذَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ فَاجْتَرْنَاهُمَا فَصَاحَتْ ثَالِثَةً بِرَابِعَةِ هَذَا مُوسَى وَأَخُوهُ هَارُونُ فَاجْتَرْنَاهُمَا فَصَاحَتْ رَابِعَةً بِخَامِسَةِ هَذَا مُحَمَّدُ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَهَذَا عَلِيُّ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ سَمِ نَخْلَ الْمَدِينَةِ صِيحَانِيَا فَقَدْ صَاحَتْ بِفَضْلِي وَبِفَضْلِكَ وَأَرَوَى كَانَ الْبُسْتَانُ لِعَامِرِ بْنِ سَعْدٍ بِعَقِيْقِ السُّفْلَى. (بحار الأنوار، ج ٤١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧).

وفي درر السمطين للنطنزي نقلاً عن الإمام العلامة صدر الدين إبراهيم بن محمد المؤيد الحموي بسنده إلى بشر بن أبي عمرو بن العلاء النحوي قال حدثني أبو عمرو بن العلاء المقرئ عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال:

«كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْماً فِي بَعْضِ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ وَيَدُّ عَلِيٍّ فِي يَدِهِ قَالَ فَمَرَرْنَا بِنَخْلِ فَصَاحَ النَّخْلُ هَذَا مُحَمَّدُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَذَا عَلِيُّ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ أَبُو الْأَيْمَةِ

الظَّاهِرِينَ ثُمَّ مَرَزْنَا بِنَحْلٍ فَصَاحَ النَّحْلُ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَهَذَا عَلِيٌّ سَيِّفُ اللَّهِ
فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ سَمِعَ الصَّيْحَانِي فَسَمِعِي مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ
الصَّيْحَانِي (بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج ٦٣؛ ص ١٤٦).

ثم قال: حديث غريب و الأخبار في هذا الباب كثيرة و فيها أسرار دقيقة تظهر
للعارفين المستنيرين بنور ولايتهم، فيرون كيفية سريان حبهم في الذرات الوجودية و
نفوذ ولايتهم ﷺ فيها. وإنما مثل ولايتهم و محبتهم بالنسبة إلى حقائق الموجودات
كلها كالمقناطيس والحديد وقد أشرنا إلى لمعة من هذا الحقائق في ما مضى فافهم.

تلميح

والذي فلق الحبة و برأ النسمة لتأمل متأمل منصف في صفات هذا الشخص
الإلهي من غير ملاحظة الأحاديث الواردة في فضائله عن النبي ﷺ، لوجده أهلاً
للمحبة و علم أنه قد بلغ بأقدام العبودية إلى مقام يقصر عن بلوغه كل نبي و وصي إلا
حبيبه و أخوه صلى الله عليهما و آلهما و سلم.

و عند ذلك يرى الالتفات إلى غيره و التشبث بسواه من القبح و الظلم و الفحش،
و يتبين أنه مدار الحق و مركز الصدق و أنه الذي به يُعرف الحق و يمتاز الصدق و يقوم
العدل و القسط و أنه الصديق الأعظم و الفاروق الأكبر، لا يقولهما بعده إلا مفتر كذاب و إن
حبّه ﷺ هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سبحانه بأن نسئله في الخمس الهداية إليه
و أنه الصراط الذين أنعم الله سبحانه عليهم من الأنبياء و الأولياء و ملائكته و أهل طاعته و
محبتة ﷺ و إن من رغب عنه إلى غيره هوى إلى جهنم خالدين فيها و بئس المصير.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. بحق
محمد و علي و آلهما الأطياب صلواتك و رحمتك عليهم أجمعين.

